

الكشاف

" فلولاً تصدقون " تحضيض على التصديق : إما بالخلق لأنهم وإن كانوا مصدقين به إلا أنهم لما كان مذهبهم خلاف ما يقتضيه التصديق فكأنهم مكذبون به . وإما بالبعث : لأن من خلق أولاً لم يمتنع عليه أن يخلق ثانياً " ما تمنون " ما تمنونه أي : تقذفونه في الأرحام من النطف - وقرأ أبو السمال بفتح التاء - يقال : أمني النطفة ومناها . قال الله تعالى : " من نطفة إذا تمنى " النجم : 46 . " تخلقونه " تقدرونه " قدرنا بينكم الموت " تقديرنا وقسمناه عليكم قسمة الرزق على اختلاف وتفاوت كما تقتضيه مشيئتنا فاختلفت أعماركم من قصير وطويل ومتوسط . وقرئ : " قدرنا " بالتخفيف . سبقته على الشيء : إذا أعجزته عنه وغلبته عليه ولم تمكنه منه فمعنى قوله : " وما نحن بمسبوقين على أن نبدل أمثالكم " أنا قادرون على ذلك لا تغلبوننا عليه وأمثالكم جمع مثل : أي على أن نبدل منكم ومكانكم أشباهكم من الخلق وعلى أن " ننشأكم " في خلق لا تعلمونها وما عهدتم بمثلها يعني : أنا نقدر على الأمرين جميعاً : على خلق ما يماثلكم وما لا يماثلكم ؛ فكيف نعجز عن إعادتكم . ويجوز أن يكون " أمثالكم " جمع مثل أي : على أن نبدل ونغير صفاتكم التي أنتم عليها في خلقكم وأخلاقكم وننشئكم في صفات لا تعلمونها . قرئ : " النشأة " والنشأة . وفي هذا دليل على صحة القياس حيث جهلهم في ترك قياس النشأة الأخرى على الأولى .

" أفرء يثم ما تحرثون . ءأنتم تزرعون أم نحن الزارعون . لو نشاء لجعلناه حطاماً فظلمت تفكهون . إنا لمغرمون . بل نحن محرومون . " " أفرأ يثم ما تحرثون " هـ من الطعام أي : تبذرون حبه وتعلمون في أرضه " ءأنتم تزرعون " تنبتونه وتردونه نباتاً وينمي إلى أن يبلغ الغاية . وعن رسول الله ﷺ : " لا يقولن أحدكم : زرعت وليقل : حرثت " قال أبو هريرة : أرا يثم إلى قوله : " أفرء يثم... " الآية . والحطام : من حطم كالفتات والجذاذ من فت وجد : وهو ما صار هشيماً وتحطم " فظلمت " وقرئ بالكسر " فظللتم " على الأصل " تفكهون " تعجبون . وعن الحسن B : تندمون على تعبك فيهم وإنفاقكم فيه . أو على ما اقترفت من المعاصي التي أصبتم بذلك من أجلها . وقرئ : " تفكنون " ومنه الحديث : " مثل العالم كمثل الحمة يأتيا البعداء ويتركها القرباء فيبناهم إذ غار ماؤها فانتفع بها قوم وبقي قوم يتفكنون " أي : يتندمون " أنا لمغرمون " لملمزمون غرامة ما أنفقنا . أو مهلكون لهلاك رزقنا من الغرام : وهو الهلاك " بل نحن " قوم " محرومون " محارفون محدودون لا حظ لنا ولا بخت لنا ؛ ولو كنا محدودين لما جرى علينا هذا . وقرئ : " أئنا " .

" أفرء يثم الماء الذي تشربون . ءأنتم أنزلتموه من المزن أم نحن المنزلون . لو نشاء

جعلناه أجا فلولا تشكرون " .

" الماء الذي تشربون " يريد : الماء العذب الصالح للشرب . و " المزن " السحاب :
الواحدة مزنة . وقيل : هو السحاب الأبيض خاصة وهو أعذب ماء " أجا " ملحا زعاقا لا يقدر
على شربه . فإن قلت : لم أدخلت اللام على جواب " لو " في قوله : " جعلناه حطاما "
الواقعة 65 ونزعت منه ههنا ؟ قلت : إن " لو " لما كانت داخلة على جملتين معلقة ثانيهما
بالأولى تعلق الجزاء بالشرط ولم تكن مخلصه للشرط كأن ولا عاملة مثلها وإنما سرى فيها
معنى الشرط اتفاقا من حيث إفادتها في مضموني جملتيها أن الثاني امتنع لامتناع الأول
افتقرت في جوابها إلى ما ينصب علما على هذا التعلق فزيدت هذه اللام لتكون علما على ذلك
فإذا حذفت بعد ما صارت علما مشهورا مكانه فلأن الشيء إذا علم وشهر موقعه وصار مألوفا
ومأنوسا به : لم يبال بإسقاطه عن اللفظ استغناء بمعرفة السامع . ألا ترى إلى ما يحكى عن
رؤبة أنه كان يقول : خير لمن قال له : كيف أصبحت فحذف الجار لعلم كل أحد بمكانه .
وتساوي حالي حذفه وإثباته لشهرة أمره . وناهيك بقول أوس : .
حتى إذا الكلاب قال لها ... كاليوم مطلوبا ولا طلبا